

الافتراء على رسول الإسلام

ثم . . هل يليق بعظيم القاتيكان ، أن يقتبس الافتراءات التي تتحدث عن أن رسول الإسلام ﷺ لم يأت إلا بما هو سيئ ولا إنسانى وشرير؟! . . ومن ذلك حضه على نشر دينه بالسيف؟! . .

وإذا كانت «خارطة العالم الإسلامى» تقول : إن أربعة أخماس الأمة الإسلامية لم يدخل بلادها جيش إسلامى فاتح . . ولا عرفت فى تاريخها حروباً ولا فتوحات . . وإنما دخلها الإسلام وانتشر فيها بالقدوة والأسوة وتميز منظمومة القيم والأخلاق التى جاء بها الإسلام - والتى حملها إلى هذه البلاد التجار والعلماء والمتصوفة . .

كما تقول حقائق تاريخ الفتوحات الإسلامية : إن هذه الفتوحات جميعها إنما تمت ضد قوى الهيمنة الاستعمارية والحضارية التى قهرت الشرق واستعمرته ونهبتة لعشرة قرون - من «الإسكندر الأكبر» [٣٥٦ - ٣٢٤ ق. م] - فى القرن الرابع قبل الميلاد - إلى «هرقل» [٦١٠ - ٦٤١ م] - فى القرن السابع للميلاد . .

وتقول هذه الحقائق - كذلك - بأن جميع معارك تلك الفتوحات الإسلامية إنما كانت ضد جيوش الاستعمار البيزنطى والفارسى ، ولم تدر معركة واحدة ضد أهل البلاد من الشرقيين . .

بل وتقول هذه الحقائق - أيضاً - إن الشعوب الشرقية قد وقفت مع جيوش الفتح الإسلامى ضد المحتلين البيزنطيين الرومان ؛ لأنها رأت فى الفتح الإسلامى تحريراً للأرض والأوطان من النهب الرومانى ، وتحريراً للشرق من القهر الحضارى البيزنطى . . وتحريراً للمسيحية الشرقية وضمائر أهلها من الاضطهاد الدينى - بل

والإبادة- التي مارستها الكنيسة الرومانية ضد النصرانية الشرقية . . وقتت هذه الشعوب الشرقية جميعها مع جيوش الفتح الإسلامي ، وهي على دياناتها السابقة على الإسلام . .

ولقد شهد الأساقفة النصارى الشرقيون- ومنهم شهود العيان على هذا الفتح الإسلامي- على أن هذا الفتح إنما كان «إنفاذاً» للنصرانية الشرقية- التي اضطهدتها الرومان- وتحريراً للكنائس والأديرة الشرقية- التي اغتصبها الرومان- . . وعلى أن هذا الفتح إنما جاء «عقاباً إلهياً»- بيد إسلامية- للرومان على ظلمهم الذي مارسوه ضد الشرق والشرقيين لعشرة قرون . .

● شهد بهذه الحقيقة- التي تجاهلها عظيم القاتيكان- الأسقف القبطي «يوحنا النقيوسى» . . فقال :

«إن الله- الذي يصون الحق- لم يهمل العالم، وحكم على الظالمين، ولم يرحمهم لتجرئهم عليه، وردهم إلى أيدي الإسماعيليين- [العرب المسلمين]- ثم نهض المسلمون وحازوا كل مدينة مصر . .

وكان هرقل حزينا . . وبسبب هزيمة الروم الذين كانوا في مدينة مصر، وبأمر الله الذي يأخذ أرواح حكامهم . . مرض هرقل ومات . .

وكان عمرو- [بن العاص ٥٠ ق.هـ- ٤٣هـ / ٥٧٤- ٦٦٤م]- يقوى كل يوم في عمله، ويأخذ الضرائب التي حددها، ولم يأخذ شيئاً من مال الكنائس، ولم يرتكب شيئاً ما، سلباً أو نهباً، وحافظ عليها- [الكنائس]- طوال الأيام^(١).

● وشهد بذلك بطرك المصريين «بنيامين» [٣٩هـ / ٦٥٩م]- الذي ظل هارباً من مطاردة الرومان ثلاثة عشر عاماً . . حتى جاء الفتح الإسلامي فأمنه . . وأعادته إلى كرسى كنيسته . . وأعاد إليه كنائس رعيته وأديرتهم من الاغتصاب الرومانى . . فخطب في «دير مقاريوس»- بعد التحرير الإسلامى- فقال :

«لقد وجدت في الإسكندرية زمن النجاة والطمأنينة اللتين كنت أنشدهما، بعد الاضطهادات والمظالم التي قام بتمثيلها الظلمة المارقون»^(٢).

(١) [تاريخ مصر ليوحنا النقيوسى : رؤية قبطية للفتح الإسلامى] ص ٢٠١، ٢٢٠ . ترجمة ودراسة : د. عمر صابر عبدالجليل . طبعة القاهرة ٢٠٠٠م .

(٢) المصدر السابق : ص ٢٢٠ .

● ولقد وصف الأسقف «يوحنا النقيوسى» فرح المصريين بانتصار المسلمين على الرومان . . وبهجتهم بتحرير المسلمين للبطرك «بنيامين» ورد الكنائس والأديرة إلى أهلها . . وصف ذلك الذى شهدته عيناه، فقال :

«ودخل الأنبا «بنيامين» بطرك المصريين مدينة الإسكندرية، بعد هربه من الروم فى العام ١٣ - [أى العام الثالث عشر من تاريخ هرويه]- وسار إلى كنائسه، وزارها كلها.

وكان كل الناس يقولون: هذا النفى، وانتصار الإسلام، كان بسبب ظلم هرقل الملك، وبسبب اضطهاد الأرثوذكسيين على يد البابا «كيرس» - [البطرك المعين من قبل الدولة الرومانية فى مصر]- . . وهلك الروم لهذا السبب، وساد المسلمون مصر . .»^(١).

● كما شهد بذلك الأسقف «ميخائيل السريانى» - بعد خمسة قرون من الفتح التحريرى الإسلامى - فقال - فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الميلادى -:

«وهذا هو السبب أن إله الانتقام الذى تفرد بالقوة والجبروت، والذى يدبيل دولة البشر كما يشاء فيؤتيها من يشاء . . لما رأى شرور الروم الذين لجؤوا إلى القوة فتهبوا كنائسنا، وسلبوا أديارنا فى كافة ممتلكاتهم، وأنزلوا بنا العقاب من غير رحمة ولا شفقة، أرسل أبناء إسماعيل من بلاد الجنوب ليخلصنا على أيديهم من قبضة الروم . . ولم يكن كسبا هيئاً أن نتخلص من فسوة الروم وأذاهم وحنقهم وتحمسهم العنيف ضدنا، وأن نجد أنفسنا فى أمن وسلام»^(٢).

. . وهكذا رأى ميخائيل الأكبر - بطريق أنطاكية اليعقوبى - «أصبح الله فى الفتح العربية، حتى بعد أن خبرت الكنائس الشرقية الحكم الإسلامى خمسة قرون»^(٣) - كما يقول العالم الإنجليزى توماس أرنولد .

● وشهد على هذا الطابع التحريرى للفتح الإسلامى، العلامة سير توماس أرنولد [١٨٦٤ - ١٩٣٠م] فقال :

(١) المصدر السابق : ص ٢٢٠ .

(٢) توماس أرنولد [الدعوة إلى الإسلام] ص ٧٢، ٧٣ - وانظر كتابنا [الإسلام فى عيون غربية] ص ١٣٨ .

(٣) [الدعوة إلى الإسلام] ص ٧٢ .

«إنه من الحق أن نقول: إن غير المسلمين نعموا- بوجه الإجمال- في ظل الحكم الإسلامي، بدرجة من التسامح لا نجد لها معادلاً في أوروبا قبل الأزمنة الحديثة.

وإن دوام الطوائف المسيحية في وسط إسلامي يدل على أن الاضطهادات التي قاست منها بين الحين والآخر على أيدي المتزمتين والمتعصبين، كانت من صنع الظروف المحلية، أكثر مما كانت عاقبة مبادئ التعصب وعدم التسامح»^(١).

● وشهد بذلك- أيضاً- المستشرق الألماني الحجة «آدم متز» [١٨٦٩- ١٩١٧م] عندما قال:

«لقد كان النصارى هم الذين يحكمون بلاد الإسلام»^(٢).

● ولقد استمرت شهادات الإنصاف للفتوحات الإسلامية- من رجال الدين.. والمؤرخين غير المسلمين- حتى القرن العشرين.. فكتب يعقوب نخلة. روفيلة [١٨٤٧- ١٩٠٥م] في كتابه [تاريخ الأمة القبطية] يقول:

«ولما ثبت قدم العرب في مصر، شرع عمرو بن العاص في تطمين خواطر الأهلين باستمالة قلوبهم إليه، واكتساب ثقتهم به، وتقريب سراة القوم وعقلائهم منه، وإجابة طلباتهم.

وأول شيء فعله من هذا القبيل: استدعاء «بنيامين» البطريك، الذي اختفى من أيام هرقل ملك الروم، فكتب أماناً وأرسله إلى جميع الجهات يدعو فيه البطريك للحضور، ولا خوف عليه ولا تثريب، ولما حضر، وذهب لمقابلته ليشكره على هذا الصنيع، أكرمه، وأظهر له الولاء، وأقسم له بالأمان على نفسه وعلى رعيته، وعزل البطريك الذي كان إقامة هرقل، ورد «بنيامين» إلى مركزه الأصلي معززاً مكرماً..

وكان بنيامين موصوفاً بالعقل والمعرفة والحكمة حتى سماه بعضهم (بالحكيم).. وقيل إن عمراً لما تحقق ذلك منه، قربه إليه، وصار يدعو في بعض الأوقات ويستشيريه في الأحوال المهمة المتعلقة بالبلاد وخيرها. وقد حسب الأقباط هذه الالتفات منة عظيمة وفضلاً جزيلاً لعمرو.

(١) المصدر السابق: ص ٧٢٩، ٧٣٠.

(٢) آدم متز [الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري] ج ١، ص ١٠٥. ترجمة: د. محمد عبدالهادي

أبو ريذة. طبعة بيروت ١٩٦٧م.

واستعان عمرو في تنظيم البلاد بفضلاء القبط وعقلائهم على تنظيم حكومة عادلة تضمن راحة الأهالي، فقسم البلاد إلى أقسام يرأس كلأ منها حاكم قبطي ينظر في قضايا الناس ويحكم بينهم، ورتب مجالس ابتدائية واستئنافية مؤلفة من أعضاء ذوى نزاهة واستقامة، وعين نواباً من القبط ومنحهم حق التداخل في القضايا المختصة بالأقباط والحكم فيها بمقتضى شرائعهم الدينية والأهلية، وكانوا بذلك فى نوع من الحرية والاستقلال المدنى، وهى ميزة كانوا قد جردوا منها فى أيام الدولة الرومانية.

وضرب [عمرو بن العاص] الخراج على البلاد بطريقة عادلة. . وجعله على أقساط، فى آجال معينة، حتى لا يتضايق أهل البلاد. .

وبالجملة، فإن القبط نالوا فى أيام عمرو بن العاص راحة لم يروها من أزمان. .^(١)

هكذا شهدت هذه الشهادات - التى كتبها أقباط ومستشرقون - منهم من كان شاهد عيان على الفتوحات الإسلامية. . شهدت على أن هذه الفتوحات :

● هى التى أنقذت النصرانية الشرقية من الإبادة الرومانية. .

● وأعادت الشرعية والعلمية والحرية لهذه النصرانية الشرقية، بعد أن حظرها الرومان، وعاملوها باعتبارها هرطقة ممنوعة - وبعبارة «ميخائيل الأكبر - السريانى» : «فإن الإمبراطور الرومانى لم يسمح لكنيستنا المونوفيزيتية - [القائلة بالطبيعة الواحدة للمسيح] - بالظهور، ولم يصغ إلى شكاوى الأساقفة فيما يتعلق بالكنائس التى نهبت؛ ولهذا فقد انتقم الرب منه» .

● وحررت دور العبادة النصرانية - الكنائس والأديرة - من الاغتصاب الرومانى، لا ليتخذها المسلمون مساجد، وإنما أعادوها إلى النصرارى الوطنيين. . حتى «ليروى أنه خرج للقاء عمرو بن العاص من أديرة وادى النظرون - بمصر - سبعون ألف راهب، بيد كل واحد عكاز، فسلموا عليه، وأنه كتب لهم كتاباً - [بالأمان] - هو عندهم. .»^(٢)

● وحررت - هذه الفتوحات الإسلامية - الناس. . فأشركتهم فى حكم بلادهم. .

(١) يعقوب نخلة روفيلة [تاريخ الأمة القبطية] ص ٥٤ - ٥٧ . تقديم : د. جودت جيرة . طبعة مؤسسة مازمفس لدراسة التاريخ - القاهرة ٢٠٠٠ م .

(٢) د. صبرى أبو الخير سليم [تاريخ مصر فى العصر البيزنطى] ص ١٩٤ . طبعة القاهرة ٢٠٠١ م .

وأعادت إليهم استقلالهم القانوني . . والقضائي . . والمدني . . الذي حرموا منه طوال قرون الاستعمار الروماني . .

● كما أعادت العدالة الاجتماعية إلى هذه البلاد، عندما نظمت الضرائب . وجعلتها على أقساط . . وفي آجال محددة . . وحصرتها في ضربيتين بعد أن كان المواطن يدفع أربع عشرة ضريبة للرومان!

● وعاد الطابع الوطني للنصرانية الشرقية وكنائسها ورتاساتها . فعزل عمرو بن العاص «البطرك - الاستعماري» الروماني . . وأعاد البطرك «بنيامين» إلى كرسي كنيسة الوطنية المصرية . .

● وإذا كان المستشرق الألماني الحجة «آدم متز» قد وصف حال النصارى في ظل الدولة الإسلامية فقال :

«لقد كان النصارى هم الذين يحكمون بلاد الإسلام» . . فإن هؤلاء النصارى قد حرموا من حرياتهم المدنية . . والسياسية . . والقانونية . . والقضائية . . والثقافية . . واللغوية طوال القرون التي ابتليت بلادهم فيها باستعمار الرومان والبيزنطيين . .

● ولذلك، كان استقبال شعوب الشرق للفاتحين المسلمين كمحررين . . وبعبارة المؤرخ النصراني «جاك تاجر» [١٩١٨ - ١٩٥٢م]:

«فإن الأقباط قد استقبلوا العرب كمحررين، بعد أن ضمن لهم العرب - عند دخولهم مصر - الحرية الدينية، وخففوا عنهم الضرائب . . ولقد ساعدت الشريعة الإسلامية الأقباط على دخولهم الإسلام وإدماجهم في المجموعة الإسلامية، بفضل إعفائهم من الضرائب . . أما الذين ظلوا مخلصين للمسيحية، فقد يسر لهم العرب سبل كسب العيش . . إذ وكلوا لهم أمر الإشراف على دخل الدولة»^(١).

● وحتى البابا شنودة الثالث [١٩٢٣ -] - بابا الكنيسة القبطية الأرثوذكسية - أكبر كنائس الشرق وأعرقها - والذي كتب عن عدل الإسلام وسماحته، وعن عدل الخلفاء والحكام المسلمين مع غير المسلمين . . فقال عن عدل الراشد الثاني عمر بن الخطاب [٤٠ هـ - ٢٣ هـ ٥٨٤ - ٦٤٤م]:

(١) د. جاك تاجر [أقباط ومسلمون منذ الفتح العربي إلى عام ١٩٢٢م] ص ٣٠٩، ٣١٥ . طبعة الهيئة القبطية بالمهجر . مدينة جرمي - أمريكا ١٩٨٤م .

«لقد رأينا فى التاريخ الإسلامى أمثلة واضحة للسماحة الإسلامية . . نذكر منها أن الخليفة عمر بن الخطاب حينما اقترب من الموت أوصى من يأتى بعده فى الخلافة من جهة أهل الكتاب بأمرين :

الأمر الأول : وفاء اليهود التى أعطيت لهم .

والأمر الثانى قال فيه : ولا تكلفوهم فوق ما يطيقون .

. . . وحينما كان الوليد بن عقبة والياً على بنى تغلب ومن فيهم من نصارى . . ورأى عمر أن الوليد هدد هؤلاء الناس وتوعدهم ، عزله من الولاية حتى لا يلقى بهم شراً . . وهكذا كان المسلمون يسلكون فى العدل بين رعاياهم ، أيا كان مذهبهم . .

ولقد انتهت حياة عمر بن الخطاب على الأرض ، وانتهت مدة خلافته ، ولكن الخير الذى عمله لم يمت بموته إطلاقاً ، ولا يزال حياً الآن يملأ الأذان ويملا الأذهان . . ويحيا مع الناس على مدى الأزمان» . .

كما تحدث البابا شنودة عن سماحة الخليفة معاوية بن أبى سفيان [٢٠ ق. هـ - ٦٠ هـ / ٦٠٣ - ٦٨٠ م] مع غير المسلمين . . فقال :

«لقد كان طبيبه الخاص نصرانياً . . واختار رجلاً مسيحياً لكى يؤدب ابنه يزيد . . ويزيد هذا اختار كاهناً مسيحياً لكى يؤدب ابنه خالدًا» . .

وتحدث عن الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان [٢٦ - ٨٦ هـ / ٦٤٦ - ٧٠٥ م] فقال :

«لقد اتخذ يوحنا الدمشقى [٥٥ - ١٢٢ هـ / ٦٧٥ - ٧٤٠ م] مستشاراً له . . وقد اختار رجلاً معلماً مشهوراً اسمه «أطانا سيوس» لكى يؤدب أخاه عبد العزيز . . ولما صار عبد العزيز بن مروان حاكماً لمصر أخذ «أطانا سيوس» معه كمستشار له . . ونجد أن الأخطل [١٩ - ٩٠ هـ / ٦٤٠ - ٧٠٨ م] كان من الشعراء المسيحيين المشهورين ، واندمج فى مجموعة متلازمة مع جرير [٢٨ - ١١٠ هـ / ٦٤٠ - ٧٠٨ م] والفرزدق [١١٠ هـ / ٧٢٨ م] واشتهرت هذه المجموعة فى العصر الأموى . . وكان الأخطل المسيحى حينما يدخل إلى مساجد المسلمين يقوم المسلمون له إجلالاً لعلمه وأدبه - كما يروى التاريخ الإسلامى» . .

كذلك يشهد البابا شنودة للخليفة الأموي هشام بن عبد الملك [٧١ - ١٢٥هـ / ٦٩٠ - ٧٤٣م] فيقول:

«إنه ابنتي للبطريرك في أيامه بيتًا إلى جوار قصره، وكان يستمع منه إلى صلواته وعظاته...».

ويشهد - كذلك - للعصر العباسي، فيقول:

عن أبي جعفر المنصور [١٣٦ - ١٥٨هـ / ٧٥٣ - ٧٧٤م]: «إن طبيبه الخاص كان مسيحيًا اسمه جرجس بن بختيشوع... وكان الخليفة هارون الرشيد [١٤٩ - ١٩٣هـ / ٧٦٦ - ٨٠٩م] يقول للناس:

من كان منكم له حاجة عندي فليكلم فيها جبرائيل؛ لأنني لا أرد له طلبًا... وكان يوحنا مشهورًا من أيام الرشيد إلى أيام المتوكل [٢٠٦ - ٢٤٧هـ / ٨٢١ - ٨٦١م]... وكان هؤلاء الخلفاء يدعونهم إلى مواعدهم، وما يأكلون شيئًا إلا في حضرته... وكان حنين بن إسحق من أشهر الأطباء في العصر الإسلامي، حتى قيل عنه إنه أبو قراط عصره وجالينوس دهره... وحنين بن إسحق هذا تعلم الفقه على يد الإمام أحمد بن حنبل [١٦٤ - ٢٤١هـ / ٧٨٠ - ٨٥٥م] وكذلك اللغة على يد سيبويه [١٤٨ - ١٨٠هـ / ٧٦٥ - ٧٩٦م] ونبغ في اللغة العربية نبوغًا عظيمًا...».

كما شهد البابا شنودة للدولة الطولونية، ومؤسسها أحمد بن طولون [٢٢٠ - ٢٧٠هـ / ٨٣ - ٨٨٤م] «الذي كان من المحبين للأقباط كثيرًا، والذي اختار مسيحيًا لكى يبنى له مسجده... واختار مسيحيًا لكى يبنى القناطر وكثيراً من منشآته... وكان يذهب كثيرًا لزيارة دير القصير، وكان على صلة وثيقة برهبانه هناك... فلقد كانت الأديرة المصرية دائماً مجالاً لالتقاء الخلفاء والولاة، وكانوا يحبونها، ويقضون فيها الكثير من الوقت، ويصادقون رهبانها وأساقفتها...».

كما شهد البابا شنودة للدولة الإخشيدية، ومؤسسها محمد بن طغج الإخشيد [٢٦٨ - ٣٣٤هـ / ٨٨٢ - ٩٤٦م] «الذي كان يبنى الكنائس بنفسه ويتولى ترميمها».

كما شهد للدولة الفاطمية... فقال: «ولا أستطيع أن أذكر مقدار اهتمام الخلفاء الفاطميين بالكنائس وبنائها وترميمها...».

ثم يختم البابا شنودة شهادته للتاريخ الإسلامى والسماحة الإسلامية، فيقول:
«كما تولى الخلفاء والحكام إقامة الوحدة الوطنية ورعايتها..»^(١).

فهلاً قرأ عظيم الفاتيكان هذه الشهادات - التاريخية - والمعاصرة - على هذه الحقائق . . قبل أن يفترى على الإسلام ورسوله ﷺ فرية الانتشار بحد السيف؟! . . وإذا كان الرجل قد جهل هذا التراث الشرقى - القديم . . والحديث . . والمعاصر . . فلماذا تجاهل الكتابات الغربية الحديثة التى أنصفت الفتوحات الإسلامية . . وأعلنت أن الانتشار الإسلامى إنما تم سلماً . . بل هو حتى دون وجود «مؤسسة دعوية تبشيرية» تقوم على نشر الإسلام! . .

لقد قال «جورج سيل» [١٦٩٧ - ١٧٣٦م] - وهو مترجم القرآن إلى الإنجليزية -:

● «لقد صادفت شريعة محمد ترحيباً لا مثيل له فى العالم . . وإن الذين يتخيلون أنها انتشرت بحد السيف إنما ينخدعون انخداعاً عظيماً»^(٢).

● وقال العلامة «سير توماس أرنولد»:

«إن الفكرة التى شاعت بأن السيف كان العامل فى تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق . . إن نظرية العقيدة الإسلامية تلتزم التسامح وحرية الحياة الدينية لجميع أتباع الديانات الأخرى . .»^(٣) . . ولقد قيل إن «جستيان» [٤٨٣ - ٥٦٥م] - الإمبراطور الرومانى - أمر بقتل مائتى ألف من القبط فى مدينة الإسكندرية، وإن اضطهادات خلفائه قد حملت كثيرين على الالتجاء إلى الصحراء.

وقد جلب الفتح الإسلامى إلى هؤلاء القبط . . حياة تقوم على الحرية الدينية التى لم ينعموا بها من قبل ذلك بقرن من الزمان . .

(١) من خطاب البابا شنودة فى احتفال وضع الحجر الأساسى لمستشفى مارمرقس - بحضرة الرئيس أنور السادات - فى ١١ أكتوبر ١٩٧٧م - انظر مجلة [وجهاً نظراً] ص ١٨ - ٢٠ . عدد ديسمبر ٢٠٠٥م - القاهرة .

(٢) [الدعوة إلى الإسلام] ص ١٨٥ - وانظر كتابنا [الإسلام فى عيون غربية] ص ٨١ .

(٣) [الدعوة إلى الإسلام] ص ٨٨ ، ١٦٦ - وانظر كتابنا [الإسلام فى عيون غربية] ص ١٣٥ .

ويظهر أن حالة القبط في الأيام الأولى من حكم المسلمين كانت معتدلة نوعاً ما .

وليس هناك شاهد من الشواهد على أن ارتدادهم عن دينهم القديم ودخولهم في الإسلام على نطاق واسع كان راجعاً إلى اضطهاد أو ضغط يقوم على عدم التسامح من جانب حكاهم الحديثين . . بل لقد تحول كثير من هؤلاء القبط إلى الإسلام قبل أن يتم الفتح ، حين كانت الإسكندرية - حاضرة مصر وقتئذ - لا تزال تقاوم الفاتحين ، وسار كثير من القبط على نهج إخوانهم بعد ذلك بسنين قليلة . . «^(١) .

● بل وأثبت هذا العلامة - سير توماس أرنولد - أن المسيحية الغربية هي التي انتشرت بالسيف والعنف !! . .

- فلقد فرض «شارلمان» [٧٤٢ - ٨١٤م] التعميدات المسيحية على السكسونيين الوثنيين بحد السيف . .

- وفي الداغر استأصل الملك «كنوت» Cnut [٩٩٥ - ١٠٣٥م] الوثنية من ممتلكاته بالقوة والإرهاب . .

- وجماعة إخوان السيف Bretheren of the Sword وغيرهم من الصليبيين ، الذي أدوا رسالتهم بالسيف والنار في تنصير البروسيين الوثنيين . .

- ولقد فرض فرسان Ordo Fratram Miliuechris المسيحية على شعب ليثونيا فرضاً . .

- وفي ١٦٩٩م وجه «فالنتين» Valentyn إلى رجوات Rajas جزيرة أمبوينا Amboyna مرسوماً يأمرهم فيه بإعداد طائفة معينة من الوثنيين لتعميدهم إذا ما طاف بهم راعي الكنيسة . . وربما حل الاضطهاد والتنصير الإجباري محل الدعوة الهادئة إلى «كلمة الله» .

- وفي فيكن Viken (القسم الجنوبي من النرويج) كان الملك «أولاف ترايغفيسون» Olaf trygvesson [٩٦٣ - ١٠٠٠م] يقوم بذبح هؤلاء الذين أبوا الدخول في المسيحية ، أو بتقطيع أيديهم وأرجلهم ، أو بنفيهم وتشريدهم . وبهذه الوسائل نشر الدين في «فيكن» بأسرها .

(١) (الدعوة إلى الإسلام) ص ١٢٣ ، ١٢٤ - وانظر كتابنا [الإسلام في عيون غربية] ص ٨٥ ، ٨٦ .

- ووصية القديس لويس [١٢١٤ - ١٢٧٠م] تقول: «عندما يسمع الرجل العامى أن الشريعة المسيحية قد أسء إلى سمعتها، فإنه ينبغي ألا يذود عن تلك الشريعة إلا بسيفه، الذى يجب أن يطعن به الكافر فى أحشائه طعنة نجلاء»!

- وفى المجر أرغم الملك «شارل روبرت» جميع رعاياه - من «الباشغردية» بعد ١٣٤٠م على اعتناق المسيحية - بعد أن كانوا مسلمين - أو مغادرة البلاد .

- وفى ١٧٠٣م أباد الأسقف - الحاكم - «دانيال بيتروفتش» D. petrovich - فى الجبل الأسود - جميع المسلمين الذين لم يتحولوا عن الإسلام إلى المسيحية . . فى ليلة عيد الميلاد!

- وفى روسيا فرض ملكها «فلاديمير» Vladimir ٩٨٨م النصرانية على جميع رعاياه - سادة وعبيدا . . أغنياء وفقراء - فسبقوا جميعا إلى التعميد بمجرد اعتناق الملك للمسيحية . . ولم يفتح باب الحرية الدينية فى روسيا إلى ١٩٠٥م! . . وكانت عقوبة التحول عن المسيحية التجريد من الحقوق المدنية، والسجن - مع الأشغال الشاقة - ما بين ثمانى وعشر سنوات!

- وفى الحبشة جعل الملك «سيف أرعد» [١٣٤٢ - ١٣٧٠م] الإعدام عقوبة للمسلمين الذين يرفضون التحول إلى المسيحية . . أو النفى من بلادهم! . . وكذلك صنع ملكها «جون» . . الذى أجبر ١٨٨٠م ما يقرب من خمسين ألفا من المسلمين على التعميد! . . كما أجبر نصف مليون من قبائل الجلا على اعتناق المسيحية^(١)!

فأى الدينين - الإسلام؟ . . أم المسيحية؟ - هو الذى انتشر بالسيف - يا عظيم القاتيكان؟ . . وتلك هى الشهادات الغربية التى تحكى - بالوقائع - كيف كانت العقلانية هى سر انتشار الإسلام . . وكيف كان السيف هو أداة انتشار المسيحية . . وخاصة فى أوروبا . . وفى موطنك - بروسيا - على وجه التحديد، كان السيف والنار

(١) المصدر السابق: ص ٣٠، ٣٢، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٣، ١٢٢، ١٣٥،

١٣٦، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٧، ٤١، ١٤٣ .

أداة نشر المسيحية من قبل جماعة «إخوان السيف»! . . أى أن أجدادك - يا عظيم
الثاتيكان - قد أجبروا على اعتناق المسيحية بالإكراه . . وتحت تهديد السيف والنار! . .
فهل يجوز لمثلك - أو لغيرك - مع هذه الشهادات الغريبة - الادعاء بأن الإسلام قد
انتشر بالسيف . . ونسبة هذا «الوهم والافتراء» إلى نبي الرحمة . . رسول الإسلام . .
محمد - عليه الصلاة والسلام؟! . .

● ثم . . لم لم يتفكر ويتعقل - عظيم الثاتيكان - وهو دارس ومدرس للفلسفة
الإغريقية - كيف يجتمع انتشار الإسلام بالسيف مع بقاء كل المذاهب والكنائس
النصرانية - والكنس اليهودية - وحتى الديانات الوضعية - فى الشرق الإسلامى وفى
الدولة الإسلامية عبر تاريخ الإسلام!؟

لقد صدر عن «المعهد الوطنى للدراسات الديموجرافية» - فى فرنسا الكاثوليكية -
كتاب [المسيحيون واليهود فى التاريخ الإسلامى العربى والتركى] ليثبت - بالحقائق
والأرقام والإحصاءات - أن نسبة المسلمين بين رعية الدولة الإسلامية وشعوبها - فى
مصر والشرق العربى وفارس - بعد قرن من الفتوحات الإسلامية وقيام الدولة
الإسلامية، لم تتعد ٢٠٪ من السكان!!^(١).

فأين كان هذا السيف الذى يزعمون أنه كان السبيل لانتشار الإسلام؟! . . والذى
يفترونه على رسول الإسلام - عليه الصلاة والسلام -؟! . .

إن وقائع التاريخ الإسلامى وحقائقه - وهى وقائع وحقائق . . وليست نظريات -
تقول:

● إن الدعوة الإسلامية قد مكثت بمكة ثلاثة عشر عاما - أى أكثر من نصف عمر هذه
الدعوة - يتحمل أهلها كل صنوف العذاب والتعذيب والحصار والفتنة فى الدين، دون

(١) فيليب فارغ، يوسف كبراج [المسيحيون واليهود فى التاريخ الإسلامى العربى والتركى] ص ٢٥ .
ترجمة: بشير السباعى . طبعة القاهرة ١٩٩٤م .

أية مقاومة مادية لهذا العذاب والتعذيب . . بل إن رسول الإسلام ﷺ كان يدعو للذين ينزلون به ويالمؤمنين هذ العذاب فيقول : «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»!! . . .

● وإن الهجرة الإسلامية من مكة إلى المدينة - وكذلك الهجرات التي سبقتها إلى الحبشة - كانت تهجيراً قسرياً واضطرابياً، وإخراجاً من الديار - وليست خروجاً طوعياً . . . وإنها قد تقرر وتتمت عندما بلغ الأمر الوثني ذروته، بقرار ملا قريش وصناديد الشرك أن يسجنوا رسول الله ﷺ أو يقتلوه، أو يخوجوه من وطنه ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال : ٣٠] . . وجميعها خيارات تعنى «الإعدام» . . فالسجن إعدام معنوي . . وكذلك الإخراج من الديار، إعدام بالحرمان من المجال الحيوي للحياة!

● وإن الدولة الإسلامية - تحت القيادة النبوية - إنما مارست القتال دفاعاً عن الدين ضد الذين فتنوا المسلمين في دينهم ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة : ١٩١] . . وضد الذين استفزوا المسلمين فأخرجوهم من ديارهم . . والإخراج من الديار معادل للقتل والإعدام ﴿وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ [النساء : ٦٦] . .

ولذلك، جاء الإذن بالقتال صداً للعدوان الذي مارسه المشركون، ورفعاً للظلم الذي وقع بالمسلمين المظلومين : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج : ٣٩]، [٤٠] . . بل وانحصر هذا القتال الإسلامي في صد هذا العدوان على الدين والوطن، فقط لا غير . . ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٧) لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٩) [المتحنة : ٧-٩] . .

● وفي هذا القتال الدفاعي - الذي دارت أغلب معاركه حول «المدينة» - عاصمة الدولة الإسلامية - دفاعاً عن الدين والوطن، ضد المشركين الذين زحفوا للعدوان عليهما - سن الإسلام دستوراً أخلاقياً للقتال - قبل أربعة عشر قرناً من معرفة البشرية لمواثيق أخلاقيات القتال - فقال رسول الله ﷺ: «اغزوا باسم الله، في سبيل الله، تقاتلون من كفر بالله - [أى من المشركين المعتدين] - لا تَغْلُوا - [أى لا تخونوا] - ولا تغدروا، ولا تمثلوا - [أى لا تمثلوا بيدن الخصم بعد قتله] - ولا تقتلوا وليداً -» ونهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والولدان» - رواه مالك في [الموطأ] . . . ومسلم في الصحيح . . .

ولقد صاغ الراشد الأول أبو بكر الصديق [٥١ ق هـ - ١٣هـ / ٥٧٣ - ٦٣٤م] هذا الدستور لأخلاقيات القتال في وصاياها العشر لقائد جيشه «يزيد بن أبي سفيان» [١٨هـ / ٦٣٩م] وهو ذاهب إلى الشام لتحرير أرضها وشعبها من الاستعمار الروماني، فقال له:

«إنك ستجد قومًا زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله، فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له . . . وإنى موصيک بعشر:

- ١ - لا تقتلن امرأة . . .
- ٢ - ولا صبياً . . .
- ٢ - ولا كبيراً هرمًا . . .
- ٤ - ولا تقطعن شجراً مثمرًا . . .
- ٥ - ولا تخربن عامراً . . .
- ٦ - ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا لمأكلة . . .
- ٧ - ولا تحرقن نخلاً . . .
- ٨ - ولا تفرقنه . . .
- ٩ - ولا تغلل . . .
- ١٠ - ولا تجبن . . .» - رواه مالك - في [الموطأ] . . .

● لقد جاء الإسلام رافضاً لفلسفة «الصراع» في حل المشكلات . . لأن الصراع يفضى إلى أن يصرع الطرف القوى الطرف الضعيف، وينفرد بالميدان، فتطوى صفحة التنوع والتعدد والاختلاف، التي جعلها الإسلام سنة من سنن الله التي لا تبديل لها ولا تحويل . . واختار الإسلام سنة «التدافع»، بدلاً من سبيل «الصراع» . . والتدافع حراك اجتماعي، يعدل المواقف، ويعيد التوازن إلى العلاقات، مع الحفاظ على سنة التنوع والتمايز والتعدد والاختلاف ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٢) وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ [فصلت: ٣٣، ٣٤] . .

وفي إطار «فلسفة التدافع» السلمى - لا «الصراع القتالى» - عرض الإسلام على الشرك الوثنى فتح الأبواب لحرية الدعوة إلى الدين - كل دين - ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)﴾ [الكافرون: ١، ٦] ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] . .

وفي إطار هذه الفلسفة، قسم الإسلام الشرك والمشركين إلى ثلاثة أقسام:

١ - المشركون المحايدون: الذين لم يحددوا موقفاً من الإسلام . . لأنهم لم يعرفوا حقيقته . . وهؤلاء لهم حقوق المعرفة والعلم . . وحرية اتخاذ الموقف الذى يريدون ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (٦)﴾ [التوبة: ٦] . .

٢ - والمشركون المعاهدون للمسلمين: الذين لم ينقضوا عهودهم ولم يغدروا بما عاهدوا عليه . . وهؤلاء لهم الوفاء بالعهود والعقود ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٤)﴾ [التوبة: ٤] . .

٣ - المشركون الذين نقضوا عهودهم مع المسلمين: واعتدوا على المؤمنين . . وفتنواهم فى دينهم . . وأخرجوهم من ديارهم . . وهؤلاء هم - فقط - الذين مارس

المسلمون ضدهم القتال الدفاعي لرد العدوان . . فهؤلاء هم الذين ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: ١٠] . . ﴿أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [التوبة: ١٣] . . ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠] . . ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعتدى عَلَيْكُمْ فاعْتدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعتدى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤] . .

• ومع هذا الموقف الإسلامى الراضى «لفلسفة الصراع» . . والداعى إلى «التدافع السلمى» . . تميز الإسلام بجعل القتال: الاستثناء . . وليس القاعدة . . والضرورة التى تقدر بقدرها . . بل وجعله الاستثناء المكروه! . . ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] . . وأكدت السنة النبوية هذه الحقيقة، بقول رسول الله ﷺ: «لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاثبتوا، وأكثروا ذكر الله» - رواه الدارمى . .

كما سن سنن التواضع لله . . والصفح والعفو فى ذروة لحظات الانتصار على الأعداء الذين امتلأ تاريخهم مع الإسلام والمسلمين بالإساءات والثارات . . فدخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح الأكبر ساجداً لله على راحلته!! . . وقال لأهلها - يومئذ ٨هـ/ ٦٢٩م - وكثيرون منهم لا يزالون على شركهم - : «اذهبوا فأنتم الطلقاء»!! . .

• ومع كل هذه الفلسفات الإسلامية التى حكمت علاقات الدعوة الإسلامية بالآخرين . . ومع هذه الضوابط الأخلاقية التى حكمت القتال الدفاعى الذى اضطر إليه المسلمون دفاعاً عن الدين والوطن . . بل وبسبب كل ذلك . . فإن ضحايا جميع الغزوات التى حدثت على عهد الدولة النبوية - وهى عشرون غزوة وسرية . . فى تسع سنوات - لم يتجاوزوا [٣٨٦] قتيلاً من الفريقين - قتلى المشركين . . وشهداء المسلمين -!! . .

بينما بلغ ضحايا الحروب الدينية فى أوروبا - بين الكاثوليك - سلف عظيم الفاتيكان! - وبين البروتستانت - عشرة ملايين - وفق إحصاء الفيلسوف الفرنسى «فولتير» [١٦٩٤ - ١٧٧٨م] - أى ٤٠٪ من شعوب وسط أوروبا -!! . .

إن حقائق الدراسة الميدانية لضحايا جميع الغزوات الدفاعية - في عهد النبوة - لتبتد ذلك الوهم الكبير الذي يتحدث أصحابه عن انتشار الإسلام بالسيف . .
 وها هو جدول هذه الغزوات . . وتعداد ضحاياها، الذين لا يبلغون تعداد حادث من حوادث المرور في بلد صغير !! :

رقم	الغزوة	عدد قتلى المشركين	عدد شهداء المسلمين	تاريخ الغزوة	ملاحظات
١	بعث عبد الله بن جحش	١	-	سنة ٢هـ	
٢	غزوة بدر	٧٠	١٤	سنة ٢هـ	
٣	غزوة السويق	-	٢	سنة ٢هـ	
٤	بعث كعب بن الأشرف	١	-	سنة ٣هـ	
٥	غزوة أحد	٢٢	٧٠	سنة ٣هـ	
٦	غزوة حمراء الأسد	١	-	سنة ٣هـ	
٧	بعث الرجيع	-	٧	سنة ٣هـ	
٨	بعث بئر معونة	-	٢٧	سنة ٣هـ	
٩	غزوة الخندق	٣	٦	سنة ٥هـ	
١٠	غزوة بني قريظة	٦٠٠	-	سنة ٥هـ	هؤلاء قتلوا بالتحكيم جزاء الخيانة، فلا يحسب عددهم في ضحايا القتال . .
١١	بعث عبد الله بن عتيك	١	-	سنة ٥هـ	
١٢	غزوة ذي قرد	١	٢	سنة ٦هـ	
١٣	غزوة بني المصطلق	-	١	سنة ٦هـ	
١٤	غزوة خيبر	٢	٢٠	سنة ٧هـ	
١٥	غزوة وادي القرى	-	١	سنة ٧هـ	
١٦	غزوة مؤتة	-	١١	سنة ٨هـ	
١٧	فتح مكة	١٧	٣	سنة ٨هـ	
١٨	غزوة حنين	٨٤	٤	سنة ٨هـ	
١٩	غزوة الطائف	-	١٣	سنة ٨هـ	
٢٠	غزوة تبوك	-	-	سنة ٩هـ	
	المجموع	٢٠٣	١٨٣		المجموع الكلي من الجانبين ٣٨٦ (*)

(*) ابن عبد البر [الدرر في اختصار المغازي والسير] تحقيق: د. شوقي ضيف. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦ م.

فأين هذا السيف الذي يتحدث عنه بابا القاتيكان . . ويقول إنه العمل السيئ
والشرير واللاإنساني الذي جاء به رسول الإسلام ﷺ؟! . . وجعله أداة لنشر
الإسلام!! . .

● ومع كل هذه الحقائق التاريخية . . وشهادات غير المسلمين من أعلام الشرق
والغرب - تاريخياً . . وحتى عصرنا الراهن - على الانتشار السلمي للإسلام . . وبسبب
عقلانيته الفريدة والتميزة . . فهلا سأل بابا القاتيكان نفسه - وهو الخائف من انتشار
الإسلام في عقر داره الأوروبية . . والخائف من تحول أوروبا إلى جزء من دار الإسلام -
في هذا القرن الواحد والعشرين . .

هلا سأل الرجل نفسه عن «السيف» الذي يتشرب به الإسلام في أوروبا هذه
الأيام؟! . .

إن سيوف العالم الإسلامي إما محطمة . . أو يعلوها الصدأ في الأغماد! . .

وإن سيوف الحضارة المسيحية الغربية مغروسة في الكثير من رقاب المسلمين! . .

وإن أرض الإسلام تنتشر فيها عشرات القواعد العسكرية الغربية! . .

وإن البحار والمحيطات الإسلامية تحتلها الأساطيل الحربية الغربية! . .

ومع كل هذه الغيبة لسيوف الإسلام . . وكل هذا الطغيان لسيوف الغرب حتى على

أرض الإسلام . . تفتح القلوب والعقول - في عقر دار البابا - أمام الإسلام! . .

هكذا يصنع الإسلام اليوم . . وهكذا كان صنيعه في التاريخ . . وهكذا سيصنع غدا

- بإذن الله - يا عظيم القاتيكان!
